المقهى الرمادي

عندما نأتيه نصطاد السويعات اصطيادا
عندما نسعى اليه
تهتف الغربة في الاعماق تزداد عنادا
أيها السارون في منتصف الليل وفي أعينكم
ظمأ للدفء في احضان مقهى
ليتعبوا من صفاء الليل كأس الحزن مكرورا معادا .

***

واذا ما جاء شهر الصوم ترتج ضلوعي
ذلك المقهى الذي زاد ولوعي
شربت ردهاته بحر دموعي
ذلك المقهى الذي ما زال جارا للحسين
جئته في ليلة غامضة الاسرار ...
كي أدفن احزاني وكي ألقي اليدين
مرتين
جئته في ليلة واحدة ...
ـ يا أصدقائي : صدقوني ـ مرتين
والمغني
كان في المقهى يغني :
« من ترى منكم يبيع الآن لي
كبدا دون قروح » (١)
« يا عزيز العين اني
لتراب الشام مشتاق وفي قلبي جروح
كان في المقهى يغني :
ذلك المقهى الذي ما زال جارا للحسين .

***

كانت السيدة السمراء تجلس
في الزوايا ترسل الضحكة للاطفال تهمس
وحواليها ثلاث من بنات العائله
ترسل النظرة بين الحين والحين الي
ثم تهمس
ثم تهمس
ما الذي تهمسه السيدة السمراء عني ؟
آه كم اشتاق أن يجمع شمل العائله
لاصلي فيك يا مقهى صلاة نافله
أنت تسقينا كؤوس الشاي حمراء ...
وفي لون البنفسج
ايها الزهر الحزين

رغم هذا أنت تبهج
فاترك الاحزان يا أزرق دعها للسنين
آه لو تعرف حزن الآخرين
أيها الزهر الحزين .

***

كلما يا جارتي جاء المساء
تسألين
أين يمضي الملك الضليل في كل مساء
ربما يحمله التيار يمشي في دروب الساقطين
أنت لا تدرين أين ؟
أول الليل أجر الخطو لا تدرين أين ؟
نحو مقهى أشرب الاحزان من جدرانه قرب الحسين
ثم أدعو للحسين
بالرضا عن رأسه والراحتين
نحن جيران الحسين
« نشرب الخمر اذا ما
ساعة القلب أتت
ونصلي ساعة للرب نغني في الاله » (٢)
ثم يمضي الملك الضليل للمقهى القديم
كللت حيطانه خضر الطحالب
ونسيج العنكبوت
كل ما فيه يموت
ها هنا أدفن رأسي
في رمال دنسوها لم تكن
غير هذا الكذب ما ينمو بأعماق الزمن
ها هنا أدفن يأسي
في كؤوس الشاي حمراء وفي لون الخطب
وأقول « اليوم خمر وغدا » يا غرباء (٣)
أسكتوا يا غرباء
« فوراء الثائر منا » خطباء (٤)

القاهرة — **محمد عز الدين المناصرة**

---

(١) تحوير لبيت قديم .
(٢) المثل الشعبي : ساعة لقلبك وساعة لربك
(٣) امرؤ القيس
(٤) تأبط شرا